الشعر والشعراء

لابن قتيبة الدينورى

obeikandl.com

تعريف بالمؤلف :ـ

هو عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينورى ، ويكنى " أبو محمد " ولد بالكوفة ، ثم فارقها مرتحلاً ، إلى " دار السلام " فى وقت بلغت فيه عاصمة " بنى العباس " أوج عظمتها ، وبلغت من التمدن والتحضر شأواً عظيماً ، وقدراً عالياً ، وفيها درس على " إسحاق بن راهوية " و" محمد بن زياد الزيادى " و" أبى حاتم السجستانى " وغيرهم كثير . كما أن ابن قتيبة الدينورى اتصل بالعلماء ، والأدباء ، وغشى مجالسهم ، وحضر ندواتهم ، وأعجب بها ، وقضى جُل حياته فى " بغداد " وكان يومذاك مركزاً للثقافة ، ومنارةً للعلم ، كما كانت بغداد حينذاك كعبة قصاد . ومحط ركاب العلماء والأدباء ، والشعراء ، والمحدثين والمتكلمين .

وقد طلب "ابن قتيبة " العلم ، ثم تولى التدريس ، وعكف على التصنيف ، ثم نراه يترك " بغداد " لمدة وجيزة ، وذلك للعمل فى القضاء " بدينور " بيد أنه ضاق بقيود الوظيفة كما ضاق بها " الجاحظ "من قبله والسر فى ذلك أنها أى الوظيفة " لباس الذل وشعار الملق ، وقلوبهم ممن لهم خول مملوءة قد لبسها الرعب ، وألفها الذل ، فهم مع ذلك فى تكدير وتنقيص، خوفاً من سطوة الرئيس وتنكيل الصاحب ، وتغير الدول " ، فعاد ابن قتيبة إلى " بغداد " ومكث بها حتى لحق بربه – عز وجل عام ست وسبعين ومائتين للهجرة النبوية الكريمة والذى يوافق من الميلاد سنة تسع وثمانين وثمانمائة وذلك على أرجح الروايات ..

وكان " ابن قتيبة الدينورى " عالماً باللغة والنحو ، وغريب القرآن ، ومعانيه ، والشعر ، والفقه كثير التصنيف والتأليف[٢٠] وتاق فى سنة باكرة أن يكون أديباً ، وذلك بمفهوم الأدب على أيامه فهو يحدث عن نفسه فيقول : " كنت فى عنفوان الشباب ، وتطلب الآداب ، أحب أن أتعلق من كل علم بسبب ، وأن أضرب فيه بسهم

١ـ الفهرست لابن النديم .

obeikandi.com

" ويزيد الأمر وضوحاً فيقول : " من أراد أن يكون عالماً فليطلب قناً واحداً ، ومن أراد أن يكون أديباً فليسع فى العلوم " .

وقد اتسع ابن قتيبة فى العلوم ، فدرس اللغة الفارسية وأجادها وقرأ التوراة والإنجيل وقبس منهما كما كان ملماً بالفلسفة ، فنراه ينقل عن أرسطو ويقول " قرأت فى كتب العجم والهند واليونان " وأخذ ابن قتيبة الدينورى بحظ وافر من النزاع العقدى الذى كان يلف عصره ، ويحط بأقطاره وجميع مناحيه . بيد أن " ابن قتيبة " لزم جانب أهل السنة ونافح عنه . وكان لها مثل ما كان الجاحظ للمعتزلة . وشارك فى الصراع العنصرى الذى كان قائماً بين العرب ، والموالى .

وقد أدرك ابن قتيبة أن هذه النزعات تسىء إلى الإسلام ، وفيها تشويه لمعانيه السامية ، وقيمه السامقة . فالعرب هم ماد الإسلام كما يقول سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . واتخذ ابن قتيبة ذلك النفاح ضد الشعوبية مبدأ له وكان يقول : لا يمنعنى نسبى فى العجم أن أدفعها يعنى – الشعوبية – عما تدعيه لها جهلتها . وكان ورعاً ، ومتواضعاً ، حسن العشرة ، موطأ الأكتاف ، عف الخصومة ، مع اعتداد بالنفس ، وترفع عن الدنايا . وكان مولده عام ٢١٣ هـ – ٨٢٨ للميلاد لأب فارسى أصله من مدينة " مرو " .

تواليفه :ـ

كان " ابن قتيبة الدينورى " غزير المعارف كثير التآليف . وجاءت تواليفه صورة صادقة لثقافته ، حيث إنها جاءت متنوعة تنتظم جلّ معارف عصره ، وقد ذكر له صاحب الفهرست ثلاثة وثلاثين كتاباً ، ويرتفع بعضهم بها إلى ستين ونيف ، وبلغ بها آخرون ثلاثمائة .

ويبدو لى أن الذين نسبوا إليها هذه المؤلفات خلطوا بين أسماء الكتب . وبين أسماء الفصول التى تحويها الكتب الكبيرة وكان يطلق عليها أحياناً اسم " كتب " كما نراه فى " معانى الشعر الكبير " حيث إنه يحتوى على " اثنى عشر كتاباً " يعنى فصلاً .

واهتمامات هذه الكتب . النحو ، واللغة والأدب شعراً ، ونثراً ، وأمثالاً وعلم التاريخ والآداب الاجتماعية ، وسواها .

ومن تآليفه أيضاً :

الأنواء ، والمعارف ، والشعر والشعراء ، والمسائل ، وعيون الأخبار، ومعانى الشعر ، والميسر ، والقداح . ونُعنى هنا بدراسة كتاب " الشعر والشعراء " .

بين يدى الكتاب

هناك خلاف بين العلماء على " عنوان الكتاب " فإن النديم يسميه " الشعر والشعراء " وفى كتاب " المحاسن والأضداد " للجاحظ نراه يذكر باسم " أخبار الشعراء " وابن قتيبة فى معارفه يسميه " كتاب الشعراء " وفى عيون الأخبار يسميه " كتاب الشعر " وعنوان مخطوطة بيروت – لبنان – " ديوان الشعر والشعراء " ومخطوطات القاهرة الثلاث ، واحدة تسميه " الشعر والشعراء " وفى مخطوطات برلين ولندن يجئ اسمه هكذا كتاب طبقات الشعراء " [٢١] .

ويقول ابن قتيبة عن كتابه " الشعر والشعراء " هذا الكتاب ألقنه فى الشعراء ، أخبرت فيه عن الشعراء ، وأزمانهم ، وأقدارهم ، وأحوالهم فى أشعارهم ، وقبائلهم ، وأسماء آبائهم ، ومن كان يعرف باللقب ، أو بالكنية منهم ، وعما يستحسن من أخبار الرجل ، ويستجاد من شعره ، وما أخذته العلماء عليهم من الغلط ، والخطأ فى

٢١ - دراسة فى مصادر الأدب أ.د / الطاهر أحمد مكى ط الخامسة – دار المعارف بالقاهرة سنة ١٩٨٠م ص ١٧٩ .

obeikandi.com

ألفاظهم ، أو معانيهم ، وما سبق إليه المتقدمون ، فأخذه عنهم المتأخرون . وأخبرت فيه عن أقسام الشعر ، وطبقاته ، وعن الوجوه التة يختار الشعر عليها ويستحسن لها إلى غير ذلك مما قدمته فى هذا الجزء الأول ، وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء ، هم الذين يعرفهم جل أهل الأدب ، والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم فى الغريب ، وفى النحو ، وفى كتاب الله عز وجل ، وحديث رسول الله صبى اله عليه وسلم .

فأتا من خفى اسمه ، وقل ذكره ، وكسد شعره ، وكان لا يعرفه إلا بعض الخواص ، فما أقل من ذكرت من هذه الطبقة [٢٢] ، إذ كنت لا أعرف منهم إلا القليل، ولا أعرف لذلك القليل أخباراً .

ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختاراً له ، سبيل مَنْ قَلّد ، أو استحسن باستحسان غيره ، ولا نظرت إلى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه ، وإلى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره ، بل نظرت بعين العدل على الفريقين وأعطيت كلاً حظه ، ووفرت عليه حقه . حيث إنى رأيت بعض علمائنا يستحيد الشعر السخيف لتقدم قائله ، ويضعه فى مُتحيره ، ويرذل الشعر الرصين ، ولا عيب له عنده إلا أنه قيل فى زمانه ، أو أنه رأى قائله ، ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن . ولا خص به قوماً دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركاً مقسوماً بين عباده فى كل دهر . وجيل جل قديم حديثاً فى عصره ، وكل شرفٍ خارجية فى أوله ، والخارجى هو الذى بشرف بنفسه فهو شبيه بالعصامى .

وقديماً قالوا : " ليس العصامى كالعظامى " ، فقد كان جرير والفرزدق والأخطل وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : لقد كثر هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته ثم صار هؤلاء قدماء ليعد العهد منهم . وكذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا مثل " الخزيمى ، والعتابى ، والحسن بن هانئ ،

---

٢٢ - الشعر والشعراء جـ ١ ص ٧ وما بعدها بتصرف ، دار الثقافة – بيروت – لبنان سنة ١٩٦٤م .

وأشباههم ، فكل من أتى بِحَسَنٍ من قول أو فعل ذكرناه له . وأثنينا به عليه ، ولـــم يضعه عندنا تأخر قائله ، أو فاعله ، أو حداثة سنه . كما أن الردئ إذا ورد علينـــا للمتقدم ، أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه .

نماذج من الكتاب

أقسام الشعر

يقول أبو محمد : تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضرب :

أولاً : ضربٌ منه حسن لفظه ، وجاد معناه ، كقول القائل فى بعض بنى أمية :

فى كفه خبز ران ريحه عبـــقٌ من كفّ روع فى عرنينه شممُ

يفضى حباءً ويُفضى من ههابته فمـــا يكلم إلا حين يبتسمُ

لم يقل فى الهيبة شئ أحسن منه .

ثانياً : وضرب منه حسن لفظه وَحَلا ، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة فى المعنى كقول القائل :

ولما قضينـــا من منىً كـل حاجـةٍ ومسح بالأركان من خو ماســـح

وشدف على دهم المهـــارى رحالنـــا ولا ينظر النادى الذى هو رايحُ

أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا وسالت بأعنـــــاق المطـــى الأباطحُ

هذه الألفاظ كما ترى ، أحسن شئ مخارج ومطالع ومقاطع .

ولو نظرت إلى المعنى وجدته : ولكا قطعنا أيام منىً ، واســتلمنا الأركـــان ، وعالينا إبلنا الأنضاء ، ومضى الناس لا ينظر الفادى الرائح ، ابتدأنا فى الحـــديث ، وسارت المطى فى الأبطح وهذا الصنف فى الشعر كثير .

ثالثاً : وضرب منه جاد معناه ، وقصرت ألفاظه عنه ، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم لنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

هذا ، وإن كان جيد المعنى والسبك ، فإنه قليل الماء والرونق .

رابعاً : وذرب منه تأخر معناه ، وتأخر لفظه . كقول الأعشى فى امرأة :

وَفُها كأقـــاحى غذاه دائمُ الهطلِ

كما شِبتَ بداحٍ با ردٍ من عسلِ النحل

تراجم الشعراء

الأسود بن يعفر

شاعر جاهلى . وهو من بنى حارثة بن سلمى بن جندل بن نهشل بـــن دارم ، ويكنى " أبا الجراح " وكان أعمى ولذلك قال :

ومن الحوادث لا أبالك أننى ضُرِبتْ علىّ الأرض بالأسدادِ

لا أهتدى فيها لمدفع تلقـه بين العُذيبِ ةبين أرضِ مُرادِ

أوائل الشعراء

لم يكن لأوائل الشعراء إلا الأبيات القليلة يقولها الرجل عند حدوث الحاجـــة ، فمن قديم الشعر قول " دُويد بن نهد القضاعىّ " :

اليـــوم يُبنى لدويد بيته لو كان للدهر بلىً أبليته

أو كان قرنى واحداً كفيته يا رُبَّ نَهبٍ صالحٍ حويتهْ

وربّ عَبلٍ خَشِنٍ لويته(٢٣)

---

٢٣ - الشعر والشعراء جـ ١ ص ١٧٦ .

obeikandi.com

أبو الهندى

هو " عبد المؤمن بن عبد القدوس بن شبث بن ربعى من بنى زيد بن رياح بن يربوع ، وكان مغرماً بالشراب ومات " بسجستان " وهو القائل بصف الأباريق [٢٤]:

سبقنى أبا الهندى عن طلب سالم أباريق لم يعلق بها وضرُ الزبدْ

مفدمةً قـــرّا كـــأن رِقابهـــا رقابُ بناتِ الماء تفزع للرعـــد

وسالم الذى ذكره هو " مولى قُديد بن منبع المنقرى " [٢٥] ، ولأبـــى الهنـــدى ديوان شعر صغير الحجم قمنا بدراسته وشرحه وهو مطبوع [٢٦].

٢٤ - الشعر والشعراء جـ ١ ص ٤٨ .
٢٥ - الشعر والشعراء جـ ٢ ص ٦٨٢ .
٢٦ - جمع ودراسة وشرح للمؤلف أ.د / على الخطيب .

obeikandl.com